بلاغة الإبداع في الشّعر العباسيّ

- أبو العلاء المعريّ أنموذجاً -

المدرس
سيروان جبار خضر ولي
sirwanjabar93@tu.edu.iq
جامعة تكريت ـ كلية التربية طوز خورماتو ـ العراق

The Rhetoric of Creativity in Abbasid Poetry
Abu Al- Alaa Al-Ma'arri as a Model

Lecturer
Sirwan Jabbar Khudhr Weli
University of Tikrit - College of Education

الملخّص:-

حمل العصر العباسيّ لواء التّجديد والإبداع في مناحي الحياة عموماً، وفي الأدب خصوصاً، وظهر فيه اتجاهات، وحركات متنوّعة ومتناقضة، وكانت الحكمة من الاتّجاهات الفكريّة الّتي انعكست في الأدب، وظهرت عند بعض شعراء العصر العباسيّ ومنهم المعريّ، الّذي كان من أوائل المجددين، ومن الشّعراء الّذين جمعوا بين قوة المعنى، وروعة المعنى، فجاءت البلاغة عنده في أرفع مستوياتها، ونرى عنده من ضروبها الكثير.

وقد قسّمنا هذا البحث إلى مبحثين، وفي الأوّل تعريف ببعض المفاهيم الأوّليّة، وفي المبحث الثاني قمنا بدراسة تطّبيقيّة على بعض أشعار المعرّيّ. ثمّ الخاتمة والنتائج وبعض المقترحات.

الكلمات المفتاحية: أبو العلاء المعريّ، العصر العباسي، البلاغة الشعرية، الشعر، الأدب.

Abstract:-

The Abbasid era carried the banner of innovation and creativity in the aspects of life in general, and in literature, in particular. Trends and various , contradictory movements appeared in it. The wisdom, of the intellectual trends that were reflected in literature and appeared in some poets of the Abbasid era including Al-Ma'arri who was one of the first reformers and one of the poets who gathered between the power of meaning and the splendor of meaning, was that the rhetoric was at its highest level of him; We see many of its types with him.

We have divided this research into two sections. In the first, a definition of some concepts, and in the second topic, we did an applied study on some of Al-Ma'arri's poetry. Then , the conclusion, results and some suggestions.

Keywords: Abu Al-Ala Al-Maarri, the Abbasid era, poetic eloquence, poetry, literature

مقدّمة:ـ

تميّز العصر العباسيّ بنزعة بارزة إلى التّجديد، والإبداع في المجال الفكريّ، حيث علت المناداة إلى "التّخيير"؛ أي تخيّر أحسن ما في الحضارات، وقد كان لهذا المبدأ آثار محمودة على العقل العربيّ؛ في الوقت الذي بدأت فيه الثقافات الفارسية والرومانية واليونانية والهندية في التأثير والاندماج مع الثقافة العربية، ظهر حقبة جديدة من الإبداع والأصالة في الأدب العربي. كان كتاب هذا العصر مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالمنطق والفلسفة، مما أدى إلى مزيج فريد من العقل والعاطفة في أعمالهم، سواء في الشعر أو النثر. خلال هذا الوقت ظهرت زيادة في الموضوعات الفلسفية والتفكير المنطقي في الشعر، حيث بدأ الكتاب في إخضاع أعمالهم للتدقيق الفلسفي والمنطقي. وكان من نتائج الإبداع الشّعريّة لبروز الحكمة، معرض شعريّ، وله بلاغاته وأدبياته وجمالياته الفنيّة. والحكمة هي خلاصة التأمّل في الكون والحياة، وهي نظرة فلسفيّة تصدر عن ذوي العقول الرّاجحة، والأفكار النّيرة. وأبو العلاء المعرّي شاعر عباسيّ، ومن أوائل المجددين، وهو شاعر له فكره، وفلسفته، وتميّز بشاعريته الفذة، وقوّة المبنى، والمعنى، والحكمة عنده شيء عفوي متأصّل داخله.

- أهميّة البحث:

تأتي أهمية البحث من أهمية العصر العباسيّ، وغناه الفكري، ومن براعة المعري الشعرية، وأهمية أشعاره من الناحية اللغوية والبلاغية والفنيّة. ولقلّة الدراسات التي تناولت بلاغة الحكمة عنده.

- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن مكامن الإبداع البلاغي في القصيدة عند المعري، وإلى اكتشاف هل يوجد علاقة بين الحكمة والبلاغة عند المعري، ومعرفة نقاط القوة والضعف في قصائده.

- إشكالية البحث:

يعد العصر العباسي عصراً منفتحاً على كل جديد، ما يعني أن فيه من التناقض أكثر من التوافق. والمعري شخصية إشكالية في حياته وفي شعره. ولذا اخترنا أن نبحث في

أشعاره. في محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة:

١. هل يوجد علاقة بين الإبداع والحكمة عند المعري؟

٢. هل هناك ربط بين الحكمة والأساليب البلاغية التي استخدمها؟

٣. هل استطاع المعري توظيف البلاغة ليظهر إبداعه وحكمته؟

- منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفيّ الّذي يُعنَى بوصف الظّاهرة المدروسة وصفاً موضوعيّاً، ويناقشها، ويحلّلها، بغيّة الوقوف على نتائج إيجابيّة تسهم في تطوير البحث العلميّ.

- الدراسات السابقة:

لم نجد دراسات سابقة تتحدث عن الإبداع والحكمة عند أبو العلاء للمعري، ولكن هناك مراجع تتوافق مع البحث بحديثها عن المعري بجانب أو بشكل مقارب لبحثنا، ومنها:

النظرية الخلقية عند الشاعر أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين" لسناء خضر، وكتاب الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري لسميرة سلامي، أيضا كتاب في سبيل موسوعة فلسفية، أبو العلاء المعري لخليل شرف الدين وكتاب أبو العلاء المعري رهين المحبسين لجعفر خرياني، وفلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره لحامد عبد القادر.

- مخطط البحث:

المبحث الأوّل: مفاهيم أوليّة:

المطلب الأوّل: التّعريف بالشّاعر

المطلب الثاني: بلاغة الإبداع والحكمة في شعر أبي العلاء المعرّي.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقيّة على قصائد المعري:

المطلب الأول: بلاغة الإبداع.

المطلب الثاني: بلاغة الحكمة.

المبحث الأوّل

مفاهيم أوليّة

إنّ تحديد المفاهيم، والتعرف على الشاعر، والبلاغة خطوة رئيسية قبل الدخول في العمل التحليلي؛ لأن ذلك يوّضح المقصود، ويزيل الإبهام عن المفاهيم.

المطلب الأوّل

التعريف بالشّاعر

أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرّي التنوخي، ولد سنة ٣٦٣هـ بالمعرّة، وجدر في السّنة الثالثة من عمره؛ فعمى منه. وهو مجدر الوجه نحيف الجسم، قال الشعر وهو ابن إحدى أو اثنتي عشر سنة. وكان يرميه أهل الحسد بالتّعطي، ويعملون على لسانه الأشعار؛ يضمنونها أقوال الملاحدة قصداً لهلاكه، وقد نقلت عنه أشعار تتضمّن صحّة عقيدته، وكذّب ما ينسب إليه من الإلحاد. مات سنة ٤٤٩هـ[١].

وأبو العلاء المعرّي شاعر من شعراء العصر العباسيّ، وهو بما أوتي من بلاغة لم يكن فيلسوف الشّعراء، ولا شاعر الفلاسفة؛ بل كان زاهداً في متع الدّنيا، وزينتها ومباهجها، يميل إلى شعر الحكمة بما فرضته عزلته الّتي اختارها عن النّاس، وهو في نظر آخرين ذلك الرّجل الضّرير الّذي يملك: "شاعريّة حيّة، وله فلسفة بارزة مؤثّرة تجذبنا إلى خرق ما أسدله القدر على تينك العينين من حجاب كثيف، والتّطلّع إلى ما تدافع بين جوانح تلك النّفس من رغبة ونفور، وأمل وقنوط،"[٢].

المطلب الثاني

بلاغة الإبداع والحكمة في شعر أبي العلاء المعرّي

إنّ الشعر من العواطف الّتي تملأ نفس الشّاعر تجاه ما حوله من التّجارب الّتي يخوضها، وتتأتّى الشاعرية والإبداع عنده في الجمع بين المشاعر الحقيقيّة الصّادقة، وتجربته الواقعيّة، وبين قوّة البناء، ودقّة اللفظ، وجمال التشبيه، وخفّة الوزن والقافية. ويظهر الإبداع عند أبي العلاء في أنه سبق كثيراً من شعراء عصره، وأنّه جميع بين عمق المعاني، وبين البحث في جوهر الإنسان وحقائق الكون من جهة أخرى. ولا يمكن القول إنّ المعرّي

ابتدع مذهباً فلسفياً، ولا نستطيع أن نقول إنّه أخذ مذهباً يعنيه، أو اعتنق مذهباً دينيّاً، وإنما كان يعجبه الرأي في مذهب ما فيستحسنه، ويحك به الآراء الّتي تحالفه في المذاهب الأخرى، من غير أن يعمل به أو أن يدعو إليه(٣).

والبلاغة هي: "العلم الباحث عن القواعد الّتي تصيّر الكلام دالّاً على جميع المراد، وواضح الدّلالة، ثمّ إنّ هناك محسّنات الكلام منى اشتمل عليها اكتسب قبولاً عند سامعه، ولما كان حسن القبول يبعث السامع على للإقبال على الكلام، وكان في ذلك عون على إيعاء جميع المراد من المحسنات اللّفظيّة من لواحق مسائل هذا العلم سواء كان حسنها عارضاً للفظ من جهة موقعه المعنويّ؛ فكلّها تسمّى المحسنات وتوابع البلاغة ويلقبونها باليدين(٤)".

المبحث الثاني

دراسة تطبيقيّة على قصائد المعري

تتطلّب دراسة البلاغة تحليل النماذج الشّعبية المتنوعة، والكشف عن مكامن الإبداع، والحكمة، مع التنويه أن أشعار المعرّي وبلاغته ما لا تستطيع كتب أن تقبض عليه.

المطلب الأول

بلاغة الإبداع

لقد سبق المعرّي كثيرون غيره في مضمار التجديد في القصيدة العربية، وعلى رأسهم بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس الحسن بن هانئ، ونخصّ بذلك شعره في المرحلة الثانية من حياته، والّتي اتّخذت بعداً آخر، وإطاراً جماليّاً معرفيّاً؛ تلك المرحلة الّتي تعمد إلى: " تقديم حقائق معرفيّة في الشعر بدل الاهتمام بالعبارة المنطوقة، وما تحلّفه من نشوة وطرب، وبذلك تتغيّر وظيفة الشعر عمّا كانت عليه في النّمط الأوّل؛ حيث يصبح الشّعر لعبة معرفية تستحضر المشاعر وعلاقاتها إلى حال الوعيّ، وذلك بتسميتها بأسمائها، ويصبح الشاعر كمن يصنع عالماً فنيّاً تخيليّاً يستقل بكائناته وأحداثه، وشخوصه الفنيّة"(٥). اتّجه شعر المعري في مرحلته الثّانيّة إلى قلق جديد ناضج في تفكيره: " يحظى بنصيب من الفلسفة والتّأمّل فأصبح الشّعر عنده يمرّ على منافذ الفكر والعقل بدل مروره من منفذ الوجدان وحده"(٦).

يقول المعرّي:

أَجـــالوا تَفَكّـــرهم في اللّقـــاء. وأرهقـــت الحـــرب جالوتهـــا
أطـــالوا تمـــائم أطفـــالهم. ومـــا تُخْلـــدُ الأرض طالوتهـــا
وهـــاروا تـــوابعهم أن تـــرو. م بابـــل تطْلـــبُ هاروتهـــا
ومـــاروا نهـــال قيامـــاً لهـــم. نواســـك تهجـــر ماروتهـــا
وتـــابوا تظـــنّهم للخشـــوع. طوائـــف تعظـــم طاغوتهـــا
وبـــاعوا تعبّـــدهم في العـــراق. وزاروا مـــع الشـــعب باعوتهـــا
فيـــا قـــوتهم مـــن نبـــات الـــبلاد. وإن نالـــت الكـــف ياقوتهـــا[٧]

وتتجلّى بلاغة الإبداع في الأبيات السّابقة في بلاغة المعاني، ومن ربط الألفاظ؛ فنجد إنّه ربط القصيدة في معجم لفظيّ يرتبط بألفاظ الشّك، فبدأ بأجالوا الّتي تحمل معنى الظّنّ، في اتّجاه الحيرة والشك والتردد، وجاء الفعل أجالوا مرتبط بجالوت عند ملاقاة طالوت. ثمّ يربط في البيت الثاني بين الإطالة لتمائم الأطفال، وبين طالوت المذكور في القرآن؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[٨].

وفي ذلك بلاغة في ربط المعاني بعضها ببعض، أو صورة بصورة، والتّقابل الحاصل بين صورة التّمائم للأطفال، وبين صورة طاغوت ملكاً، وحكمه الذي لم يخلد.

وفي قوله هاروا الذي يعني أنه أرغموا الذين يتبعونهم على الخروج كي يطلبوا هارون الوارد في القرآن الكريم، وماروت أيضاً في ذلك رمز إلى الوهم الذي يدفعونهم نحوه. لقد هجروا ماروت وسحره وشره، بل يظنون أنهم تابوا، وتحسبهم من شدة خشوعهم أنهم في رهبة أو سكينة. تتجلى البلاغة عنده من استخدام الألفاظ وفرادة اللغة والتراكيب التقابل بين الألفاظ والصور (أجالوا وجالوت) و(اطالوا طالوت) و(هاروا هاروت) و(ماروا ماروت) (باعوا باعوت) وربط معنى القصيدة بالشك والربا وخلق صور وخيال يحلق بنا في سماء اللغة وشتى المعارف ومن الأدب كما استفاد من القرآن الكريم والايحاء بالمعنى ايحاءً كلها بلاغة إبداعية يتميز بها المعري. هذا ما يؤكد أن الإبداع في شعره يتجلى بأنه: "قوي المباني، خفي المعاني، لأن قائله سلك به مسلك الشعراء، وضمنه نكتاً من النحل

والآراء، واراد أن يري معرفته بالأخبار والانساب فصرفه في جميع انواع الأدب فأكثر فيه من الغريب والبديع، ومزج المطبوع بالمصنوع فتعقدت أنماطه وبعدت أغراضه."[٩].

وتتجلى بلاغة الإبداع عند المعري في إبداعه في المماثلة التي تعني أن يتعدد أو يوجد في البيت أو نحوه مماثلة في الوزن والتقفيه أو في الوزن فقط بين كلمتين متلاقيتين أو متوازيتين.

ويقول المعري:

همـــوا فـــأموا شـــارفوا وقفـــوا فوقفـت العـير بـين الـورْد والصـدر[١٠]

استعمل المعري كل من لفظة(هموا فأموا) والورد الصدر لها نفس الوزن حيث نرى المعري قد ماثل بين الألفاظ في الوزن من أجل الوصول إلى عرضة المنشود كي يعبر به أن الأعداء قد عمو بلقاء ذلك الفارس ولكنهم حين قاربوه توقفوا متخوفين منه، كما يفعل الحمار الوحشي أمام الماء إذا قرب منه توقف وتحسس، فاذا وجد رائحة صائد أو سمع حسيسه انصرف لم يرد وإن لم يرى شيء ورد وشرب[١١].

فهنا نجد المماثلة بين أوزان الألفاظ، والتقابل بين صورتين وفي جمعه لهذه المحسنات البلاغية أوصلنا إلى المعنى المراد ومن بلاغة الإبداع عنده مراعاة النظير والتوجيه أي: "الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة على جهة التضاد وذلك بين اثنين أو أكثر يظهر ذلك في قوله:

إذا صـدق الجـد افتـرى العـمّ للفـتى. مكـارم لا تخفـى وإن كـذب الخـال

فهنا نجد الجمع بين الجد والعم والخال والمراد الاول بالجد هو الحظ وبالثاني هو العم وهو عامة الناس وبالثالث الخال ويراد به الظن."[١٢].

ويقول المعري أيضاً:

وحرفـاً كنـون تحـت راء ولم يكـن بـدال، يـؤمّ الرسـم غيّـره الـنقط[١٣]

فهنا قد ناسب في جمعه بين حروف الهجاء وان كان قصده غيرها؛ لأن مراده بالحرف هنا هو الناقة والدلالة عليها هو تقوصها كحرف النون المذكور؛ لشدة هزلها، وقصد بالراء الراكب الذي يضرب رئتها برجله، والدال الأفق بها، وقصد بالرسم رسم المنزل وبالنقط الماء الذي ينزل[١٤].

ومن البلاغة الإبداع عند المعري أن أشعاره مليئة بالإضمار والتلميح وهي باب من أبواب البلاغة وقد افتتن المعري بهذا الصنف من البلاغة وجاء عنده على ضروب عدة منها التورية والتلميح والالغاز والتذبيح، الذي نجده بكثره عنده ويعني التذبيح " التقابل بين ألفاظ الألوان"[١٥] أي أن الشاعر يستعمل للوصول إلى المعنى المقصود رمزاً لا يتم إلا بواسطة الألوان فيكون الالوان لقصد الكناية أو التورية.

يقول المعري:

إذا ما اهتاج أحمر مستطيرا. حسبت الليل زنجياً جريحا

أقول لصاحبي إذا هام وجد. ببرق ليس يثبته نزوحا

فهنا يلمّح مستعملاً التذبيح بالألوان، فاستعمل الاحمر بالألوان الذي يدل به على الشوق والحنين و الزنجي على السواد، فكان معنى البيت أنّه قد اهتاج و تحرك شوقه إلى من يحب، أو إلى بلده في وسط الليل الأسود القاتم الذي عدّ جريحا من كثرة التأوهات والآلام التي أصابته من فرط الشّوق.

ومن البلاغة الإبداعية عند المعري المغايرة: "وهي مدح الشيء بعد ذمّه أو عكسه."[١٧]. وقد تفنن المعري في ذلك النوع ونجد لديه الصور الطباقية التي تنتمي لهذا الضرب من البلاغة فيقول:

من صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينيه حتى يرى صدقها كذبا

وهنا يحاول المعري إظهار حقيقته عن الدنيا التي توصل إليها بحكم تجربته وخبرته في الحياة فالأمور في الدنيا مقلوبة فإذا صاحبتها ترى الصدق كذب والكذب الصدق حتى وجد أنه من الغباء أن تسمى الكذوب صادق. ما يمكن ملاحظته بصورة عامة أنّ أبا العلاء المعري سيطر على شعره الطباق هذا ما يظهر في كثرة ديوانية لدرجة عدم التحكم فيه، واتسمت طباقاته بالعفوية والسهولة، فهي مفهومة واضحة تعكس خبرته وتجاربه الأليمة التي تجمعها المتناقضات كانت بطاقة في الشعر صورة عكسية على تناقضه في الفكر والأدب والفلسفة والحياة.

لقد كانت بلاغة الإبداع عند المعري بلاغة تلخص ميلة إلى التجديد والابتعاد عن التقليد في استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية للوصول إلى المعنى المطلوب.

المطلب الثاني

بلاغة الحكمة

يمكن القول إنّ الحكمة عند المعرّي هي رحلته الّتي خاضها في حياته، وهي رحلة خاضها يمكن تلخيصها بالرحلة من الشّك إلى اليقين، لقد نظر إلى مواضيع الحياة كلّها؛ فالحكمة تختصّ بفئة من النّاس الّتي تسطيع: "فهم الارتباط بين العلّة والمعلول، والسّبب والمسبب فهماً تامّاً"(١٩).

والحكمة تأتي بمعنى: "إتقان الأشياء، أو إصابة الحق بالعلم والعقل".(٢٠) وقد تطلق: "على الكلمات البليغة المتضمنة معنى جليلاً في لفظ جليل"(٢١). وقال الجرجاني: "وقيل: كلّ كلام دافق الحقّ فهو حكمة. وقيل الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو"(٢٢).

وجميع ما يمكن أن يطلب من تعريفات على الحكمة يدلّ على معنيين، يجمعها الرّازي بقوله:" واعلم أنّ الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنين، وذلك لأنّ كمال الإنسان في شيئين: أن تعرف الحقّ لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع الأوّل: إلى العلم والإدراك المطابق، وبالتّالي إلى فعل العدل والصّواب"(٢٣).

ويتجلّى بلاغة الحكمة في قدرة المعري على استعمال الخيال في بلاغاته، فهو ينماز: "بالخيال الدقيق الحساس الذي يجعل من معلومة باهتة، صورة حية جلية، فخياله الرقيق الحساس تعج بالحياة والحركة في كلّ ما التمس به من المعارف السابقة"(٢٤).

يقول المعري في أحد حكمه الدّينيّة:

إلهنـــا الله، ملـــكٌ أوّل أحـــد. تطيعــه مــن صــفوف النّــاس آحــاد

هذه حكمة دينيّة عميقة تلخّص جوهر فكره، ومن البلاغة أنّه يقيم تناصّاً مع النص القرآني، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾؛ وفي ذلك حكمة عميقة مفادها الحثّ على وحدانية الله سبحانه، ومن الحكمة عنده أنه استطاع نقل الفكرة التي يريدها من حكمه عبر استخدام خياله فقط؛ فمن المعروف أن المعري أصيب بالعمى، ولذا كل صوره الفنية ورموزه مستقاة من خياله.

فيقول:

الفِكرُ حبلٌ متّى تمسّك على طرف. منه يُنَطُ بالثّريا ذلك الطرف[٢٦]

وهنا يرسم أبو العلاء صورة جميلة تساهم في إيصال حكمته، واستقى هذه الصورة من خياله؛ إذ يبدأ بشيء فكري هو الفكر، وإذ يحاول أن يربطه بشيء ملموس، كي يتوضح للقارئ والسامع ما يرونه، فجاء بالحبل، والحبل عندما تمسكه يرتفع إلى الثريا.

وحكمة أبي العلاء لا تقتصر على خياله، بل تتأتى من فكره وثقافته، وتأمله في أمور الدنيا، وثمّ إنه اختار العزلة التي سمحت له بالتفكّر، وهو جلّ ما يتمنى، حيث يقول: مع تلاشي الشباب وتوطيد الشيخوخة، فكرت في الخير والشر اللذين صاحبا مرور الزمن. وسط مد وجذر الحياة، اكتشفت أن العزلة، حتى وسط حشد من الناس، كانت كنزاً ثمينًا. لم أهمل التأمل الذاتي ولم أخفق في اغتنام فرص النمو. بدلاً من ذلك، جمعت خبراتي وطلبت التوجيه الإلهي لتجاوز تحديات الحياة[٢٧]. وليس غريباً أن يتأتى حكمه في أسلوب بارع جزل، وتراكيب متينة؛ فيقول:

كن من تشاء مُهجّناً أو خالصاً. وإذا رزقت غنى فأنت السّيد

واصمت فما كثر الكلام من امرئ. إلا وظنّ بأنّه متزيّد[٢٨]

وهنا يطرح حكمته في أسلوب بلاغي جميل، وصور فنية حيث يمكن تلخيصها بالقول: "خير الكلام ما قلّ ودلّ"؛ إن كثرة الكلام تذهب الهيبة، ويشحن الطباق بين الصمت والكلام، هذه المعاني، وتؤكّد الصورة التشبيهية (أنت السيد) ذلك، إن الناس تنظر القوي من يملك المال، وليس من يكثر الكلام، هذه حقيقة الحياة وجدها كما لخّصها المعري

ومن البلاغة عند المعري استخدام في حكمه الأساليب الإنشائية كالنداء والأمر والاستفهام، والنهي، وقد خرجت هذه الأساليب إلى أغراض بلاغية متنوعة ولا يمكن حصرها؛ فمن حكمه قوله:

أما رأيت صروف الدهر غادية. على القلوب بتبغيض وتحبيب[٢٩]

إن استخدام الأسلوب الانشائي؛ وقوامه الاستفهام (أما رأيت) ليس المراد منه الاستفهام الذي يريد الجواب عنه، ولكنه استفهام استنكاري، ويدعو به المعري الناس كي يتيقظوا من الغفلة، ويحاول أن ينبههم أن الدنيا متقلبة، وإن مصائبها تطال الجميع، فالذي

تصيبه سهامها يغدو بائساً منهاراً، وإلا فإنه يكون مسروراً فرحاً، إن هذه حكمة عظيمة تطرح بأسلوب جميل؛ فهو ابتعد عن التقريرية، ولجأ إلى إقامة حوار فكري مع القارئ عبر الاستفهام، وفي ذلك حض بأسلوب غير مباشر، ودعوة الآخر إلى التفكر، والبحث عن إجابة هذا السؤال التي تلخص جوهر الدنيا.

ويؤكّد حكمه عبر استخدام الأساليب الإنشائية:

قد نال خيراً في المعاشر ظاهراً. من كان تحت لسانه مخبوءا[٣٠]

فهو في هذا الاستفهام يؤكّد حكمته التي تقول إن الكلام الكثير يضر المرء؛ وليس ذلك غريباً أن المعري شاعر الحكمة التي تعني:' درجة من الوعي الفكري يجمع معاني عامة، تأتي عن طريق تجربة أو نظرة في الحياة"[٣١].

وتظهر البلاغة في البيت السابق من الترابط الأسلوبي، وفي الطباق بين ظاهر، مخبوء، وكأنه يقول إن إخفاء الكلام. وليس الإخفاء، هنا لشيء مادي، بل هي صورة حسية تعني قلة الكلام أو ندرته؛ وذلك في أسلوب الشرط؛ فالشرط الأول إخفاء الكلام، وهو المسبب الذي تحدث به النتيجة أو السبب وهي نوال الخير في الظاهر .وفي ذلك تأكيد لحكمه التي تعلي قيمة الصمت وقلة الكلام.

وتتأتى الحكمة عنده من إدراكه جوهر الحياة، وصياغة هذا الجوهر بأسلوب بلاغي:

متى فعلت الخير ثمّ كفرته فلا تأسفن إن المهيمن آجر

فنزّه جميلاً جئته عن جزاية تؤمل أو ربح، كأنك تاجر[٣٢]

إن الحكمة التي يرومها المعري تتجلّى في حثّ الناس على فعل الخير، وإن لم يشكرها الناس عليه؛ فالله سبحانه يكفيها أجرها في الآخرة، وتتجلى البلاغة في استخدام المنطق العقلي، والصورة التشبيهية (كأنك تاجر) فالذي يقوم بالخير، كأنه يبيع، ولكن أجره ليس في الدنيا، بل في الآخرة؛ فالحساب لا يؤخذ بل يؤجّل استحقاقه إلى الآخرة، وبذلك ينال المرء فوزاً عظيماً.

ويقول أيضاً:

يأتي على الخلق إصباح وإمساء وكلنّا لصروف الدهر نسّاء[٣٣]

إن الحكمة هنا هي أن الإنسان ينسى ما يحدث معه من صروف الدهر بفضل توالي الأيام؛ وقد استخدم الشاعر الطباق (إصباح، إمساء) مع التصريع (إمساء، نسّاء) وفي ذلك لشحن قصيدته بانفعالاته وحكمه حول الحياة.

الخاتمة:ـ

بعد هذه الرحلة البسيطة في أشعار المعري، وجدنا بعض مواطن الإبداع والحكمة لديه من بلاغة الالفاظ، والأسلوب والتراكيب، وتتجلى بلاغة الإبداع عند المعري في إبداعه في المماثلة التي تعني أن يتعدد أو يوجد في البيت أو نحوه مماثلة في الوزن والتقفيه أو في الوزن فقط بين كلمتين متلاقيتين أو متوازيتين. كما تتأتى من بلاغة الإضمار و التلميح بأشكاله المتعددة، و تأتي بلاغة الحكمة من خياله المتدفق بصور فنية تجمع بين عمق المعنى، وروعة المبنى؛ فالحكمة عنده هي خلاصة فكر وتأمل في الحياة، مصوغة بأسلوب جميل فيه من حسن السيد الكثير.

النتائج:

ومن النتائج التي توصلنا إليها.

١. كان المعرّي من أوائل المجددين في العصر العباسي، الذي استفاد من روافد فكرية كثيرة ظهرت في هذا العصر.

٢. جاءت الصور البلاغية لدى المعري نابعة من خياله وفكره، ومن سعة اطّلاعه، فقد أقام تناصاً مع القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ليصل بنا إلى المعنى المطلوب.

٣. استخدم المعري أساليب بلاغية كثيرة ليظهر حكمه؛ منها المماثلة والإضمار والتلميح، والأساليب الإنشائية والتذبيح، وما إلى هناك من الأساليب التي أكسبت شعره قوة المعنى والمبنى.

التوصيات:

١. العصر العباسي عصر واسع يحتاج من الدراسات الكثير كي تلم بجوانبه المتعددة نأمل أن توجد دراسات تتناول جوانب مختلفة وشعراء منه.

٢. المعري شاعر لا تستطيع دراسة أن تقبض على مكامن الإبداع عنده، لذا نأمل أن توجد دراسات متنوعة عن هذا الشاعر.

٣. الحكمة عند المعري موضوع واسع و شامل، ولم يستوف حقّه من الدراسات، ونأمل أن يفتح هذا البحث الباب لدراسات جديدة، ورؤى حداثية.

هوامش البحث

(١) ابن خلكان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيّات الأعيان، وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٨، ج ١، ص ١١٣وما بعدها.

(٢) المعرّي، أبو العلاء: رسالة الغفران، تقديم: الأب فؤاد إفرام البستاني، دار الشهاب، الجزائر، ١٩٩١، ص٣.

(٣) ينظر، فروخ، عمر: دراسات في الأدب والعلم والفلسفة، حكيم المعرّة، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي، دار لبنان الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٦٥

(٤) ابن عاشور، الأمام محمد الطاهر: موجز البلاغة، صفّ الكتاب ابو عمر آل منعم، بناء على طلب شيخه: عبد الرحمن الكوني، ص ٦

(٥) سمير، د. حميد: شعرية التلقيّ، النص وتجارب المتلقي في أدب المعرّي، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر بالاشتراك مع النادي الأدبي الثقافيّ بجازان، ط ٢، ٢٠١٨، ص٥٣.

(٦) سمير، د. حميد: شعرية التلقيّ، النص وتجارب المتلقي في أدب المعري، ص ٨٣.

(٧) المعري، أبو العلاء: سقط الزند، الديوان، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١٩٩٠،١،بيروت، لبنان، ص ٨٠.

(٨) البقرة / ٢٤٧.

(٩) -التبريزي، البطليوسي، الخوارزمي: شروح سقط الزند، تح: مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، ابراهيم الانباري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧، ج ١ ص ١٥.

(١٠) المعري، أبو العلاء: سقط الزند، ص ٨٩.

(١١) التبريزي، البطليوسي، الخوارزمي: شروح سقط الزند، ص ١٥٣.

(١٢) ناصف وآخرون: دروس البلاغة، دار ابن حزم،ط١، ٢٠١٢، ص ١٠٨.

(١٣) المعري، أبو العلاء: سقط الزند، ص٢٩٩.

(١٤) ينظر، الحلي، صفي الدين:: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص: ١٢٨.

(١٥)الحلي، صفي الدين:: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ص: ١٠٧.
(١٦)المعري، أبو العلاء: سقط الزند، ص ٣٤.
(١٧) الهاشمي، أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، ط ١،ص ٣٥٣.
(١٨) التبريزي، البطليوسي، الخوارزمي: شروح سقط الزند، ص ٨٣
(١٩) صليبا، جميل: المعجم الفلسفيّ، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ج١، ص ٩٤١.
(٢٠)البيومي، مصلح سعيد: ادع إلى سبيل ربك، دار القلم، الكويت، ١٩٨٦، ص ٥٧.
(٢١)الشرباصي، أحمد: موسوعة أخلاق القرآن، بيروت: دار الرائد العربي، ط١، ١٩٧٩، ج ٣، ص ٨٥.
(٢٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب، ط١، ١٤٠٥ هـ ص ١٢٤.
(٢٣) الرازي، فخر الدين محمد بن محمد، التفسير الكبير، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ر، د.ت. ج٧، ص٧٣.
(٢٤) المعري، أبو العلاء: رسالة الغفران، ص ١٥.
(٢٥) المعري، أبو العلاء: سقط الزند، ص ٢٠.
(٢٦) المعري، أبو العلاء اللزوميات: حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (د، ط)، ٢٠٠١، بيروت، لبنان، ج١، ص ٥٧. ينظ: يتعلق
(٢٧) ينظر، اليظي، د. صالح حسين: المتنبي، وأبو العلاء المعري، رؤية في الإبداع الادبي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ٩٦.
(٢٨) المعري، أبو العلاء اللزوميات: ج١، ص٣١٣.
(٢٩) المعري، أبو العلاء اللزوميات: ج١، ص ١٤٥.
(٣٠) المعري، أبو العلاء اللزوميات: ج١، ص ٦٠.
(٣١) زكي، د. أحمد: شعر الهذليين في العصرين الجاهلي، والإسلامي، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٩، ص٢٨.
(٣٢) المعري، أبو العلاء اللزوميات: ج١، ص ٣٩٩.
(٣٣)المعري، أبو العلاء اللزوميات: ج١، ص ٤٨.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- المعري، أبو العلاء: سقط الزند، الديوان، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠، بيروت، لبنان.

- المعري، أبو العلاء اللزوميات: حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،(د، ط)، ٢٠٠١،بيروت، لبنان.

المراجع:

١. ابن خلكان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيّات الأعيان، وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٨.
٢. ابن عاشور، الإمام محمد الطاهر: موجز البلاغة، صفّ الكتاب ابو عمر آل منعم، بناء على طلب شيخه: عبد الرحمن الكوني.
٣. البيومي، مصلح سعيد: ادع إلى سبيل ربك، دار القلم، الكويت.
٤. التبريزي، البطليوسي، الخوارزمي: شروح سقط الزند، تح: مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، ابراهيم الانباري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧.
٥. الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب، ط١، ١٤٠٥ هـ
٦. الحلي، صفي الدين:: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
٧. الرازي، فخر الدين محمد بن محمد، التفسير الكبير، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ر، د.ت.
٨. زكي، د. أحمد: شعر الهذليين في العصرين الجاهلي، والإسلامي، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٩.
٩. سمير، د. حميد: شعرية التلقيّ، النص وتجارب المتلقي في أدب المعرّي، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر بالاشتراك مع النادي الأدبي الثقافيّ بجازان، ط ٢، ٢٠١٨.
١٠. الشرباصي، أحمد: موسوعة أخلاق القرآن، بيروت: دار الرائد العربي، ط١، ١٩٧٩،
١١. صليبا، جميل: المعجم الفلسفيّ، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، لبنان، ١٩٨٧.
١٢. فروخ، عمر: دراسات في الأدب والعلم والفلسفة، حكيم المعرّة، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي، دار لبنان الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٦.
١٣. المعرّي، أبو العلاء، رسالة الغفران، تقديم: الأب فؤاد إفرام البستاني، دار الشهاب، الجزائر، ١٩٩١.
١٤. ناصف وآخرون: دروس البلاغة، دار ابن حزم،ط١، ٢٠١٢.
١٥. الهاشمي، أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، ط ١.
١٦. ،اليظي، د. حسين: المتنبي، وأبو العلاء المعري، رؤية في الإبداع الادبي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥.